

## رجل يحترق

كنت مسافراً، ولم يكن لى أدنى علاقة بهذا المجال على الإطلاق فى ذلك الوقت  
أرنون ميلتشان فى برنامج ٦٠ دقيقة، ٥ مارس ٢٠٠٠

أرنون ميلتشان كان منفعلاً... منفعلاً للغاية، إذ تلقى مكالمات هاتفية فى شقته فى  
باريس من محرر فى جريدة نيوزويك يسأله فيها عن رد فعله تجاه الاتهام الصادم للدكتور  
ريتشارد كيلى سميث، رئيس شركة ميلكو ليميتد، وهى شركة تعمل كواجهة للاستخبارات  
الإسرائيلية، لشحنه أنابيب الكرايترون لإحدى شركات ميلتشان فى تل أبيب.

العلانية شيء يحاول أى عميل سرى تجنبه، وكان ميلتشان يبغضها بخاصة.

وفى الأيام التالية أفادت الصحف العالمية بأن أنابيب الكرايترون تستخدم كمفاتيح تشغيل متطورة لتفجير القنابل النووية. فى الواقع فأنابيب الكرايترون موجودة منذ أواخر الثلاثينات، لكن استخدامها هى وأشياء أخرى، كميكانيكية أولية لإطلاق الأسلحة النووية، لم يكن معروفاً لعامة الناس حتى ذلك اليوم بعينه فى مايو ١٩٨٥ .

وتنبأ المحللون الإعلاميون بتبعات حادة على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، ووفقاً لسميث فقد دفعت شركة ميلتشان إياه دفعاً لشراء أنابيب الكرايترون، وكان يعرف جيداً الغرض منها وأنها من المواد شديدة الحساسية والتي جمعها ميلتشان على مر السنين من أجل بلده.

وفى المجمل فقد طلبت شركة ميلتشان والمسماة هيلى تريدينغ ليميتد ٨١٠ أنبوبة

كرايترون، شحنها من سميث من دون الحصول على رخصة بتصدير الذخيرة التي تتطلبها وزارة الخارجية، وتدخلت إدارة الجمارك الأمريكية والمباحث الفيدرالية وتآزم الموقف. وأصبحت صفقة شركة ميلكو معرضة للخطر. وخشى ميلتشان من أن يلاحقه قضائياً المدعى العام الطموح سياسياً والمحِب للظهور.

وبعد حديث قصير مع محرر مجلة نيوزويك، كان معظمه يدور في فلك ادعاء الجهل بالأمر، حجز ميلتشان على أول رحلة جوية متجهة إلى تل أبيب، وخلال ساعات احتشدت فرق القنوات التلفزيونية والمصورون أمام البناية التي يملك فيها شقة علوية، وأخذ الهاتف يرن بشكل جنوني، ولم يلق ميلتشان بالأل لكل ذلك.

لكن كانت هناك مكالمات بعينها لم يستطع ميلتشان تجاهلها... تلك التي كانت من أمه شوشانا، والتي بعد أن استطاعت الوصول له أخيراً عبر الهاتف أجهشت بالبكاء

وقالت الجميع ينعنون ابني بأنه تاجر سلاح، وهذا شيء محرّج. حزن أرنون لهذا بشدة. إذ لم ير نفسه يوماً كتاجر سلاح، والآن أمه نفسها تتهمه بذلك صراحة.

أمي! لا أحد يتهم بوينغ ولا روكويل بتجارة السلاح، ولا أحد يقول إن شركة رايشيون تتاجر في السلاح. تلك هي نوعية الشركات التي أعمل معها. وليس الأمر وكأنتي أشعل الحروب في دول العالم الثالث وأسحن إليها الأسلحة. إنما أفعل هذا لمساعدة بلدنا على البقاء.

لم يمثل هذا عزاء للأُم والتي لم يكن لها أي معرفة بمثل تلك الأمور، إنما كانت تعرف فقط أن عليها مواجهة نميمة الجيران، وعلى ذلك الصعيد فقد وقع الضرر بالفعل.

لم يهتم ميلتشان بذكر ذلك الأمر لمن يسوسونه في وكالة لكام، وهي وكالة شديدة السرية ضمن شبكة إسرائيل الاستخباراتية المعقدة وكانت معروفة للولايات المتحدة في ذلك الوقت. وسرعان ما ارتدى حلة التمرين وغادر المبنى، على أمل ألا يتعرف عليه أي من الصحفيين. فالبرغم من كل شيء لم يكن شخصية مشهورة، ولم تكن له إلا صور قليلة متداولة، إن كان ثمة مثل تلك الصور على الإطلاق.

ونجحت خدعته، وخرج من المبنى، وأقبل عليه عدد هائل من الصحفيين من الواضح أنهم كانوا لا يعرفونه، لذا أخبرهم بأن السيد ميلتشان قد ذهب إلى مكتبه في يافا في الجهة الأخرى من المدينة. وتفرق الصحفيون في مطاردة وهمية محمومة بينما ركب ميلتشان سيارته في هدوء وقادها مباشرة إلى القدس لحضور اجتماع خاص مع صديقه الحميم ومعلمه، رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك شمعون بيريز، وقاله له:

شمعون، إنهم يتهمونني بأنني أفعل ذلك من أجل مكاسب شخصية. وأنت تعرف أنني لم أفعل ذلك لأجلي، بل فعلته لأجل الوطن. والآن أطلب مساعدتك.

وأنصت بيريز في صمت ثم قال:

ماذا تتوقع أن يفعلوا يا أرنون؟ وماذا تريد مني أن أفعل؟

ورفع أرنون صوته بحدة لكن باحترام يائس:

لا أعرف يا شمعون! اتصل بريجان أو أئى من كان لإصلاح ذلك. لم أكون أنا

القريان؟

وساد صمت طويل، ثم أردف بيريز:

أرنون! ماذا تريد مني أن أفعل؟ أخرج علناً وأبين كيف اجتمعت برئيس الولايات

المتحدة لاستغلالك في جلب أشياء لإسرائيل لا يمكن جلبها عبر القنوات المعتادة؟!

واستمر أرنون في توصله.

"كل ما أطلبه هو فعل شيء للخروج من هذه الأزمة".

تعاطف معه بيريز وشعر كأنه أب له، لكنه لم يعده بشيء:

"دعنى أفكر بعناية كيف أتعاطى مع هذا الموقف، وفي الوقت الحالى، أريدك أن

تذهب إلى المنزل وتحاول الاسترخاء".

وكان بيريز يعرف جيداً أنه لا سبيل للاسترخاء بالنسبة لأرنون ميلتشان، وكان

يعرف أنه من أكثر العملاء المبدعين والمنتجين ممن جندتهم الاستخبارات الإسرائيلية.

وعلى مر السنين قدم له مديرو وكالة لاكام بدءاً من بنيامين بلامبيرغ إلى خلفه رافى

إيتان قائمة طويلة من الأشياء شديدة الحساسية والمطلوبة لبرامج الدفاع العسكرى

الإسرائيلى السرية، ومواد أخرى مستحيلة المنال متعلقة بالدفاع العسكرى، وعبّر

شبكة معقدة من شركات الواجهة فى أنحاء العالم، حصل أرنون على تلك الأشياء ويزن

فى هذا الجميع.

وكانت مهمة ميلتشان هي توفير تلك الأشياء المطلوبة بالجوء إلى جميع الوسائل الضرورية: كل شيء كان مباحاً! وفي المقابل تعامله الحكومة كأمر وسط شعبيه. كان يعمل في مهام لأجلنا، ولذا إن واجه أية متاعب، شعرت أنه من واجبنا أن نساعدته، هكذا قال شمعون بيريز.

لم تكن القواعد التي كانت تطبق على الآخرين تطبق على ميلتشان، ربما لم تكن تلك رخصة بالقتل تحديداً، لكنها أقرب ما تكون من ذلك. إذ فتح باسمه حسابات مصرفية سرية لدولة إسرائيل، حسابات استخدمت لتمويل أكثر العمليات الاستخباراتية الإسرائيلية سرية وخطورة في كل أنحاء العالم. ثم راهن بثروته الشخصية المتزايدة عبر هوليوود وبعض أشهر الأفلام التي أنتجت وأكثرها ربحاً، مما جعله أيقونة للثقافة الشعبية السينمائية وأحد أغنى الرجال في العالم في تلك الأثناء.

وعندما وصل إلى شقته بعد لقائه مع بيريز، رأى أيضاً أن عصابة الصحفيين قد عانت من المطاردة الوهمية المحمومة وكانوا مستائين. وعلى عكس ما نصحه به كل من حوله، وفقاً لما قالت إيتي كانر مساعدته الشخصية، وافق ميلتشان على دعوتهم لبيته في مؤتمر صحفى وجيز، على أمل تهدئتهم، ومضى يشرح أنه لا علاقة له بصفقة الكرايترون ولا يعرف تفاصيلها.

لم يُعرف قط ما إن كان بيريز قد أجرى تلك المكالمات الهاتفية مع ريجان، لكن كان من الواضح أن إجراء آخر قد أنجز... إجراء كان الجزء الذي تم الكشف عنه كافياً لتغيير حياة الكثيرين.